ادمون روستان

النوافذ الجميلة

Les belles fenêtres.

قضى هذه الشاعر المبدع ادمون روستان. غربت شمس حياته مع شروق شمس النصر بعد ان نشر مفاخر قومه في احسن ما نظمهُ من الشعر . توفي عن خمسين عاماً ملاها بجلائل الآثار واطايب الاشعار . اذكر واحدة منها عربتها لقراء المقتطف على رغم علمي بصعوبة ترجمتها واليهم حكاية حالها

لما اخذ الالمان في ضرب باريس بمدفعهم الضخم — قبل ان اصيبوا هم انفسهم بكل قنابله — اشار بعضهم على الاهلين بالصاق اوراق مصلبة على زجاج النوافذ صيانة لها من التكسر بفعل هزّة الارض او ارتجاجها — على قدر ما تمكن الصيانة في مثل هذه الاحوال — فما قرأ الاهلون تلك النصيحة حتى اشتغلت مقصاتهم بقصّ الورق والصاقهِ اشكالاً والوانًا . فبالمات الزهور قصت الزهور في ورق والصقتها وكذلك بالمات التخريم والدنتلا وغيرهما . وخلاصة القول ان باريس اخرجت من النكبة النازلة بالمدينة فنًّا حيًّا ينطق بانها ام الذوق والاختراع. فاعجب الفقيد بما رآهُ وان كان لم يستغربهُ ويستكبرهُ في قومهِ . ونظم ذلك في قصيدة تسيل رقةً وصف فيها نوافذ باريس وورقها وصلبانها وزهورها

القصيدة باريسية اكثر منها افرنسية . فاذا كانت ترجمة الشعر الفرنسوي عمله عربيًا امر غير يسير فكيف بترجمة شعر باريسي في موضوع باريسي تكاد الصور لا تتغير فيهِ . فقد وصف حالة واحدة في عدة مقاطع شعرية اضطررت ان اجاريهُ فيها قدر المستطاع . لا اخرج عنهُ الاَّ بما لا تتفق ترجمتهُ مع المباحي العربية . فجاءت الترجمة على رغم ذلك اقرب الى الاقتباس منها الى التعريب الحرفي الذي لا يتم في هذه المواضيع . وهذه هي

هل تطلبين وانت الطف من ارى ان تنظري
لطف المدينة في الزجاج مصوّرا للبصر
زهر تعلّق في النوافذ اسمرا كالعنبر
او مشرقاً مثل الكواكب مسفرا كالمشتري

او تسمعي صوت الزجاج مكرراً كالعسكر لا أكثر
ستفاخرين بيوم باريس لنا في حربها
وتحدثين ذويك ما دان المدى من عجمها
فتقول للآتين ان ذكر العدى في ضربها
ايامَ اطلعت الفوائد فرقدا من صلبها
وغدا الزجاج معلماً ومورّد في لعبها يستبصر
باريس تلعب بالزهور كانما نفت الفرق
حسنت بها كل الفوائد مثلما زهت الحدق
اتظنها برلين تخشى مجرما يا للحمق
سيري ترى اثر المهندس محكماً لا بل ادقّ
وترى الزجاج مزوّقاً ومرسّما تحت الورق يستكبرُ
في كلّ نافذة وربع عامر ما يُستحبّ
فكانما باريس بدعة ساحر دار العجب
شاءت تزين زجاجها للناظر في ما رغب
فاتت بفنّ لم يلد في خاطر او في كتب
فنّ ليعجز عنهُ أكبر فاكرٍ او ذي ادب ويقصرُ
هل تنظرين على الزجاج دقيقةً نقش الحجر
فكأنما الرسّام صاغ عروقهُ صوغ الفكر
ساوى الجمال سميكهُ ورقيقهُ عند النظر
لا عيب فيهِ غير ان بريقهُ لا يدّخر
اني رأيت جديدهُ وعتيقهُ حلو الاثر لو يؤثرُ
في كل نافذةٍ وبابٍ زينة تتألقُ
وازاهر فوق الزجاج مكينة لا تحاق
وبكل فتحة مخزن لسرينة قد تعبقُ
فكأنما باريس فيها قينة تتأنقُ
الطرف في أيدي الحسان دفينة لا تسرقُ بل تنشرُ
سيري على طول الرصيف المبدعِ وتطلّعي

العين تنظر في زجاج الاربع ما لا تعي
ثلج تعلق فيها غير مودّع ومبرقع
فكأنهُ حزم بهجة اروع متدرع
رسم ترقرق لطفهُ كالادمع في مصرع بل اغزر
هل اغية كانت فباتت اسطرا للراسم
ولطيفة راقت فدقت منظرا كالصارم
وغدت بحسن الذوق شعراً مبهرا للناظم
وقنابل كالويل يهطل ممطرا بغماغم
احميت بها باريس زيًا مخبرا للعالم ما يخبرُ
فبفضل هذي الحرب قد ظهرت لنا غرر الغرَب
ورق بدا فوق الزجاج ملوّنا مثل الشهب
أرايت كيف ادرتَ فيها الاعينا هـذا اللعب
ضعف تحوّل قوة فغدا هنا مثل الغضب لا يحذر
في بعض يوم جاء ذلك وافيا بشيوعها
زمن كفى حتى تجيء كما هي بجميعها
طير تعلق في الزجاج مباهيا ببديعها
دارَ المقصّ فكان ذلك كافيا لصنيعها
فاتت لاهل الذوق فنًا غاليا بفروعها يستذخرُ
عمل صغير لا يقدّر قدرهُ لكنما
ظهر الذكاء به فاصبح فخرهُ متحتما
كل يقص مقصهُ ما نشرهُ غية اللعب
هذا يغرّد في النوافذ طيرهُ مترنما
فيبيت بين ذوي اللياقة ذكرهُ متقدّما يستفخرُ
هذي تقصقص للورى بلطافة ازياءها
فكأنها تبغي بكل تحافة اثناءها
باريس تستحي لكل ظرافة اخفاءها
من شاء هجراً فليزر بشغافة ارجاءها

او شاء ان يبقى رأى بشراقة احياءها تستنمرُ
ورق يقاوم في المعارك مدفعا ويقاتل
باريس لم تبق لغيرك مطمعا يتناول
هل قال ذلك سابقاً وهل ادّعى المتناقل
لم تعرف الايام مثلك اروعا يتفاضل
وكتل رايتك في البرية اربعا تتشاكل لا تبصرا
من ظن انك تنعمين تفاخرا تحت الخطر
قد ظن وهماً واستهان بما جرى بك من غِيَر
جدٌ تمثل كالمزاح لمن يرى هذا الاثر
ورق يصان به الزجاج تـثُرا عند النظر
لكنهُ قد جاء يعلن مشهرا ختم القدر ويبشرُ
قدرٌ لهُ عند القلوب شواهد في عرفهِ
هيهات يعجز في البرية جاحد عن كشفهِ
باريس باسمك في المعارك خالد في صحفهِ
بأس يقصر في ثنائك حامد عن وصفهِ
ومتى تخوّف من رجائك ماجد من حتفهِ فتكبرُ
امّ الظرافة ترتدي اثوابها في عيدها
وترى الشجاعة في الحروب خضابها لخدودها
اضحت تفاضل في الجمال كعابها في جيدها
ان مرّ جندي بارضك هابها لوعيدها
ومضى يحدث في الورى اضرابها بحديدها ويخبرُ
يدعو الى الحج الوفود منادياً كلّ الامم
ويرى التقي في ان يزورك ماشيا ربّ الذمم
وينبه القاصي لحجك داعيا نحو الحرم
فتردد الاكوان صوتاً عاليا يشفي الصمم
هبوا نرى وجه المدينة راضيا ان تبتسم يتسعرُ

باريس

ابراهيم سليم نجار